

حين احتفى الجواهري بيوم المرأة العالمي

نسرین وصفي طاهر

في الثامن من آذار/مارس عام 1962، ألقى الجواهري فريده الجديدة بمناسبة يوم المرأة العالمي، وذلك في جمع جماهيري عراقي وعربي حاشد بالعاصمة التشيكية براغ... وقد جاءت لتعبر عن قناعات وآراء وسياقات اعتمدها، وتبناها الشاعر العظيم قبل ذلك بعدة عقود، وضمنها العديد من قصائده ولعل من أبرزها مطولته عام (1929) والتي جاء فيها - وما أشبه الليلة بالبارحة - "غداً يمنعُ الفتیانُ من تعلیمهم .. كما اليوم ظلماً تمنع الفتیات".

... واحتفائية الجواهري بالمرأة، وعيدها، شملت (35) بيتاً، وانطلقت من بدايتها تشيع قيماً ورؤى ترسخ مكانة المرأة الجواهريّة: أما زوجة وشقيقة وبناتاً وحببية... وغيرهن من صنّاع المجد والجديد، والعطاء الذي لا ينضب في مختلف سوح الحياة... ولكي لا نطيل بلا ضرورة ننقل هنا بعض المقتطفات من القصيدة التي لا تحتاج أبياتها لمزيد عناء في قصدها - والمقصود منها:

* * *

حيّتهنّ بعيدهنّة من بيضهنّ وسودهنّ
وحمدت شعري أن يروح قلائداً لعقودهنّ
نغمُ القصيدِ قبسته من نغمة لوليدهنّ
كم بسمّة ليّ لم تكن ، لولا افترارُ نضيدهنّ (1)
ويتميمة ليّ صفتها من دمعّة بخدودهنّ

* * *

إنّا وكلّ جهودنا للخير رهنّ جهودهنّ
وصمودنا في النائباتِ مردّه لصمودهنّ
بنحوسهنّ نحوسنا ، وسعودنا بسعودهنّ
التضحياتُ الغرُّ صنعُ شموخهنّ وجودهنّ

* * *

قالوا "الشهيدُ" فقلت: ويح ثواكلِ بوحيدهنّ
حُملنه تسعاً وخطنَ عليه سُمرَ جلودهنّ (2)
أوجدنّه وفديّنه خوفَ الردى بوجودهنّ

لله أَيْبَةُ رِقَّةٍ وَقِسَاوَةٌ فِي عَوْدِهِتْهُ
عَمَّرْنَا بِجُوهْدِهِتْهُ وَهَدَمْنَا بِصُدُودِهِتْهُ
خَوْفَ التَّنَاقُضِ - لَا الْمَحْجُ - عَنِ سِرَابِ عَوْدِهِتْهُ
أَنَا أَخْتَشِي مَنَّهُنَّ فَالْسُلْطَانُ عَبْدُ عَيْدِهِتْهُ
زَنُّ الْحَيَاةِ بوعِيدِهِتْهُ (3)
إِنِّي وَإِنْ سَامَرْتُهُتْهُ ، وَعَمَزْتُ مِنْ أَمْلُودِهِتْهُ (4)
فَلرُبَّمَا لَيْلٍ سَهَرْتُ مَوْرَقًا لِبَرِيدِهِتْهُ
كَمْ فَتْنَةً لِقَدِيمِهِتْهُ ، وَرَثَهَا بِجَدِيدِهِتْهُ
الْمَوْتُ لَصِقُ جُلُودِهِتْهُ ... وَالنَّارُ تَحْتَ جَلِيدِهِتْهُ

* * *

حَيْثُ نُهُنَّ بِعِيدِهِتْهُ ... وَلَمَمْتُ شَمْلَ عَدِيدِهِتْهُ
وَحَشِدْتُ أَحْسَنَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَرْقُهُ لِحَشُودِهِتْهُ
مَنَّهُنَّ مَخْضُ الْعَاطِفَاتِ فَهِنَّ مَخْضُ قَصِيدِهِتْهُ
وَقَبَسْتُ مِنْ سَجْعِ الْحَمَامِ ، الرَّجْعِ ، مِنْ تَغْرِيدِهِتْهُ
السَّيِّدَاتِ الْآتِسَاتِ فَقُلْ بِحَالِ مَسُودِهِتْهُ

هوامش:

- (1) النضيد: كتابة عن الأسنان، لشبهه باللؤلؤ
- (2) ذكر العدد (تسع) لأنه أراد المطلق منه
- (3) زن الحياة وشنها: من زانها وشانها
- (4) الأملود: الغصن المياد، يريد به القامة